

الخطبة الثامنة عشرة فَرَضِيَّةُ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَضُرُورَتُهُ الْحَيَاتِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم تقبل منا وتب علينا واغفر لنا خطأنا وزللنا وجهلنا وما أنت أعلم به منا اللهم آمين ... وبعد ...

1. لقد بُعدنا كثيراً عن الفهم الصحيح لحتمية وفرضية تغيير المنكر وذلك لكثرة الشوائب وكثرة النظريات والخلط في المصطلحات والمسميات والتعريفات ... ودخول من ليس بأهل على ساحة المناقشة فتشوشت الصورة وبهتت وضعفت حتى إن الصحيحة كادت أن تنطمس، ولكن رحمة الله بهذه الأمة وتجسيدها لقوله ﷺ كما جاء عن المغيرة ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» متفق عليه.

و عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «لا تزال طائفة قوامه على أمر الله لا يضرها من خالفها» ابن ماجه، وعن معاوية ﷺ على النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» حم - متفق عليه.

فالحمد لله، الأمة فيها الخير، والخير الكثير وعلماؤنا موجودون، وأصحاب الكلمة الحق والفهم السديد يعلمون ويفقهون فله الحمد والشكر وله الفضل والمنة، فمهما كثر الغش ومهما علا صوت الباطل، هناك بفضل الله من علمائنا وأساتذتنا الكثيرون الذين يزيلون هذا الغش ويطفؤون صوت الباطل.

اللهم زدهم وثبتهم وبارك فيهم وشد أزهم وألحقنا بالصالحين، اللهم آمين ...

2. واختياري اليوم حديثاً من أحاديث خير البرية هو عظيم جداً وفيه نقاط جميلة جداً تُوضِّحُ وتُوضِّحُ أهمية فرضية تغيير المنكر، ومنع القائمين على المنكر من تنفيذ مآربهم، والأخذ على أيديهم بشتى الصور والوسائل، بغض النظر عن الدوافع التي لديهم، وبغض النظر عن المقاصد التي يسعون إليها، وبغض النظر عن نياتهم وفلسفتهم... وبغض النظر عن الربح... وبغض النظر عن الشعارات التي قد يرفعها بعضهم باسم الحرية الشخصية أو الملكية الشخصية... المنكر لا بد من تغييره، المنكر لا بد من إزالته، المنكر لا بد من منعه، حتمية لازمة وضرورة لا بد منها... ولنضع نصب أعيننا قوله عليه الصلاة والسلام: «فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» البخاري... وهذه لقطة من الحديث الذي هو مدار البحث...

3. لا أستطيع أن أبين مدى عظمة هذا الحديث مهما تكلمت عنه... والحديث هذا حقيقة يجب أن يُبحث من قبل طائفة من العلماء القديرين وتؤخذ جميع رواياته التي وردت في البخاري و مسند الإمام أحمد والترمذي، وتناقش جميع النقاط التي وردت في الحديث... وأنا لست أهلاً لهذا وليس لي المقدرة ولا أقول هذا تواضعاً ولكنها الحقيقة، وإني لأرجو الله أن يقرأ كلامي هذا من هو أعلم مني وأقدر مني وأفقه مني على أن يكتب في هذا الحديث ويشرحه ويبينه للأمة...

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو آتانا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» البخاري، وفي رواية مسند الإمام أحمد «فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها لا ندعهم يصعدون فيؤذوننا»، وفي رواية الترمذي «فثقل ذلك على الأسفلين»... مسند الإمام أحمد.

وفي رواية الإمام أحمد قوله «مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها» فأصبح لدينا:

1. القائمون على حدود الله.
2. الواقعون في حدود الله.
3. المداهنون في حدود الله.
4. قوم أنانيون في الأعلى.
5. قوم رافعون لدعوى الحرية الشخصية.
6. قوم تأذوا من أنانية الذين في الأعلى.
7. قوم سكتوا عن قول الحق فكانوا عوناً على الباطل.

الفئات هذه هم القوم في السفينة ... «استهموا» أي اقترعوا لأخذ الأمكنة فمنهم من كان في أعلاها وهو المكان الأفضل ومنهم من كان في أسفلها وهو المكان الأسوأ ... والفئات جميعها موجودون في الأعلى وفي الأسفل لأن الحديث لا يوضح مكانهم، والواقع أنه لا يهم مكانهم، لأن المهم هو ما سيقولونه كما سيأتي لاحقاً ... وتعريف «المداهن» يداهن أي لا يقول الحق جهلاً، أو عمداً، لأنه قد يُتَلَبَّسُ عليه الأمر، فيفتتن بالشعارات أو الشبهات، أو عمداً لأنه خائف أو يريد الباطل أو أنه واقع في شهوة وما إلى ذلك، وسنرى مدى خطر هؤلاء فيما يأتي بإذن الله، وفي رواية أخرى للبخاري قال رسول الله ﷺ: «فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: ما لك؟ فقال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء» وفي رواية أحمد «فقال بعضهم إنما يخرق في نصيبه».

لنرجع الآن ونرى الأدوار التي مر بها الحديث ... أناس في الأعلى أنانيون لا يراعون حاجة ذوي السنة سليطة يتمثل ذلك في قولهم «لا ندعهم يصعدون فيؤذوننا» لا يهمهم إلا سعادتهم ولا ينظرون إلى مصالح الآخرين وحاجاتهم ... وقوم في الأسفل يريدون الماء وتأذوا من منع الذين في الأعلى وفيهم نوع من الحساسية الشخصية وأرادوا أن يحلوا المشكلة فلم يروا إلا خرق السفينة ... وقوم مداهنون لا ندري نوازعهم ولكن قد تلبس عليهم، فهم ضيقوا الأفق جداً ولا يرون الخطر العظيم الذي يؤدي إلى هلاك كل من في السفينة، ولكنهم يرون الحرية الشخصية، وحق الملكية ويرون حرية التصرف فيما يملكون وتراهم يدافعون ويتكلمون ويحسبون أنهم مهتدون وهم شر الناس وهم

أحرق الناس وهم أحرق الناس وكل ذلك يتمثل في دفاعهم عن يخرق السفينة بدعوى «إنما يخرق في نصيبه» ويأتي التحذير النبوي الكريم «فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً».

نعم، إنكار المنكر ضرورة حتمية وواجب لا بد منه، والأخذ على أيدي المخربين فرض عين و فرض كفاية لأنه نجاة للأمة كلها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان» مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أبو داود، أحمد.

غير المنكر بيدك، واجب وفرض ولو فعل كل منا ذلك لكان المجتمع في أحسن حال ولكن دعوى (أنا ما دخلني)، ودعوى (يصطفلوا)، ودعوى (الحرية الشخصية)، ودعوى (كل واحد ذنبه على جنبه)، ودعوى (ما بدي وجع راسي)، دعاوى شيطانية، دعاوى مخففة، دعاوى جعلت المنكر يتفشى ويقوى حتى إنه دخل كل دار وصار الحق وأصحاب الحق ضعفاء والله المستعان، فإن لم يستطع تغييره بيده، يقول، يصرخ، يندد لعل الله ييسر ويقيِّض من هو أقوى منه فيأتي هذا القوي فيغير المنكر.

استخدام كل الوسائل المتاحة لك للتنديد بالمنكر، تكلم ولا تسكت، افضح المنكر وأهله، أنت وحدك لا تستطيع تغيير المنكر تكلم اجمع جماعة، ناقش الأمر مع غيرك، ادع الله، أخلص عملك، فإذا نجحت في تغيير المنكر فجزاؤك عظيم، وإن لم تنجح فقد قمت بما يجب عليك فعله وتكون قد أعذرك الله، فإن لم تستطع، أنكر المنكر بقلبك أنكروه بعقلك بفكرك، كلما رأيت منكراً أنكروه، وادع الله لتغييره... وهذه لفظة كريمة عظيمة من الرسول صلى الله عليه وسلم تبين على أنه صلى الله عليه وسلم رسولاً يوحي إليه، وكما قال صلى الله عليه وسلم «أدبني ربي فأحسن تأديبي» عن ابن مسعود في أدب الإملاء - ابن السمعاني.

لأنك إن لم تُنكره مرة بعد مرة تألفه، وإذا ألفتَه اعتدته، وإذا اعتدته انتفت نكارتَه وقد تنتفي حرمتَه وقد تبرره وقد تجربَه وتقع فيه وتعمل به وتعتاد عليه ثم تدافع عنه والعياذ بالله... ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: 3 / 104]، شهادة من الله بأن من ينهى عن المنكر أيًا كان النهي أولئك هم المفلحون ... وبعض المفسرين يرى لفظة جميلة جداً وهي أن (من) في كلمة منكم ليست للتبعيض أي ليس المعنى بعضاً منكم ... وإنما معناها بيانية تعم جميع الأمة، وهذا الفهم بأن (من بيانية) وهي ما توافق الحديث المشار إليه قبل هذه الآية فالرسول ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً» فهل منكم في هذا الحديث للتبعيض أم أنها بيانية و تعم الجميع ... فالحمد لله .

يقول الله سبحانه وتعالى محذراً وموضحاً: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 8 / 25]، ألم ترى أن الحديث قال «فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً» تبعات المنكر ونتائج ليست على مرتكبيه فقط وإنما الخسارة والبوار على الأمة كلها ...

أب يشرب الخمر قدوة سيئة، حرامٌ يُرتكَب، يرجع إلى البيت سكران، يشتم، يسب، يعذب الزوجة، يضرب الأولاد، يُبذّر المال، زوجته تكرهه، أولاده يكرهونه، سمعة الأسرة في الحضيض ... كم من النتائج الوخيمة تترتب على هذا الفعل الشخصي ... تفكك الأسرة، طلاق، تشريد للأولاد، وقد وقد ... والعياذ بالله فتُحرق السفينة ...

عن زينب بن جحش رضي الله عنها وأرضاها قالت للرسول ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون، قال ﷺ: «نعم إذا كثر الخبث» الترمذي - صحيح.

وعن أبي بكر ﷺ قال: إنكم لتقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 5 / 105]، ورسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» ابن ماجه، أبو داود، الترمذي، النسائي.

والفهم السليم لآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي عليكم أنفسكم بإصلاحها وتهذيبها وثقيفيتها بثقافة الدعوة إلى الله فكرة وسلوكاً واعتقاداً وإخلاصاً لله، واحتساباً للأجر من الله، وصبراً على طاعة الله وصبراً عن الحرام، كل ذلك مرضاة لله وطاعة لله ... هذه

الخصال التي يجب أن تتحلى بها النفس المسلمة ... فإذا تحقق هذا فلن يضركم من اختار طريق الضلال بعد البيان له، وبعد دعوته إلى الحق لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 18 / 29]، ولقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: 272 / 2]، ولقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256 / 2]، كفرهم وضلالهم وغيرهم لن يضركم إذا التزمتهم بمنهج الله، وإذا التزمتهم بهدي الله، ومنهج الله وهدي الله هو إحقاق الحق والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة المنكر، والأخذ على أيدي المخربين، المنحرفين، المغالطين، المجرمين الذين يخرقون السفينة.

عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها رضي الله عنه قالت: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيها الناس إن الله يقول لكم مروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتسالوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم» موارد الظمان لابن حبان (1841).

وعن عبد الله بن جرير عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا» أبو داود.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتكم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن ...

1. لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ...

2. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ...

3. ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا ...

4. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ...

5. ولم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» رواه مسلم في كتاب الفتن.

أعود إلى نقطة مهمة في الحديث وهي أن تصرفاتنا وردود أفعالنا قد تحمل الآخرين على الوقوع في الأخطاء وقد نكون نحن المسيبين في كثير من المشكلات التي قد تقع للآخرين نتيجة كلمة أو تصرف لم ندر لها أو لهُ بالاً ...

فمثلاً لو عدنا إلى الناس الذين فوق في أعلى السفينة، ونظرنا إلى أنانيتهم وعدم اهتمامهم بالآخرين وبحاجاتهم وحاولوا منعهم من الصعود وأخذ الماء «لا ندعهم يصعدون يؤذوننا» وقد يكون التعسف في استعمال الحق مدعاة لأخطاء وانحرافات أو جرائم كثيرة يرتكبها الآخرون من جراء هذا التعسف الشخصي والذي قد تكون عائدات هذه الأفعال والأخطاء والانحرافات على الأشخاص أنفسهم أصحاب الحق وأصحاب الأنانية وأصحاب التعسف، فُتُخْرَقُ السفينة ... خذ أمثله ...

1. الغني الذي لا يدفع صدقات أمواله ولا يسد رمق المحتاجين والجياعين ولا يساعد في تسكين ألم المرضى ولا يرد البرد عن العراة والمعوزين ... قد يدفعهم جوعهم وعراؤهم إلى الاعتداء على الممتلكات والقيام بسرقات وقطع الطرقات وقد يؤدي إلى القتل والجريمة فُتُخْرَقُ السفينة ...

2. زوج متعسف يحرم زوجته من حقوقها ويحرم أولاده من المتع المباحة أو بعض الحقوق قد يدفع هذا الحرمان وهذا التعسف إلى شق عصا الطاعة وإلى العصيان وقد يؤدي إلى تفكك المنزل، فُتُخْرَقُ السفينة ...

3. المدير في الشركة و المسؤول في العمل يضيِّق على الموظفين ويتعسف في استعمال الحق ولا يرحم ولا يراعي حاجات الآخرين ومشاعرهم، قد يؤدي هذا إلى التمرد والعصيان والإضراب عن العمل وقد تنتهب الممتلكات وتفلس الشركة وقد وقد، فُتُخْرَقُ السفينة ...

4. الأولاد الذين لا يطيعون آباءهم ولا يخافون الله تعالى، والزوجة الناشزة التي لا ترعى زوجها ولا ترعى بيتها وهمها زيتتها وراحتها ومسيرة جيرانها، لا تقيم وزناً لطلبات بيتها وزوجها ولا ترعى دخله ولا ترعى أهله ولا ترعى مشاعره ومرضاته، هذا يؤدي إلى التفكك والكرهية والقطيعة والطلاق والتشرد والفاحشة للبنات والأولاد، وقد وقد، فَتُخْرَقُ السفينة ...

من الرابع ومن الخاسر، صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله ما أعظمك «فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» ارجع إلى الحديث وتمعن فيه ترى أن المشكلات كلها أساسها تافه ... قال الأعلون: «لا ندعهم يصعدون يؤذوننا» لو فكرنا ما هي هذه الأذية التي يتكبتها الأعلون من جراء أخذ الأسفلين الماء ولو رجعنا إلى الورا لربنا أن الذين في الأعلى لم يكونوا في الأعلى نتيجة جمال أو مال أو ثقافة أو جهد، وإنما هي قرعة، قال عليه الصلاة والسلام: «كمثل قوم استهموا على سفينة» أي اقترعوا ... ومعنى هذا أن الذي في الأعلى كان هناك احتمال كبير أن يكون هو الذي في الأسفل ... أعود فأقول ما هذه الأذية التي يدعيها الأعلون، سخافة و سفاهه وأنانية وتكبر وحب الذات وحب الفوقية وحب التعالي وحب الإذلال، عمى مابعده عمى عن حاجات الناس وضرورياتهم الحياتية التي تجلت في قول الأسفلين «تأذيتم بي ولا بد لي من الماء» نعم ... فَتُخْرَقُ السفينة.

أترى معي الآن معنى حديث الرسول ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه، حتى لا تُخْرَقُ السفينة.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَحْكُورُ بِنِنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص:]

[22 / 38]، ولا تشطط حتى لا تُخْرَقُ السفينة ...

كل منا مسؤول، وكل منا سيقف بين يدي الله عز وجل وسوف نسأل كم سفينة خرقنا ... وكم من مخالفة ارتكبنا ... وكم من منكر لم نغيره وكم وكم ... الله المستعان ...

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71 / 9].

وعن تميم الداري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» مسلم.

وفكر معي أخي في الحديث التالي ... عن سَمْرَةَ بن جُنْدُب رضي الله عنه قال: إنه كان له نخل في حائط رجل من الأنصار، ومع الأنصاري أهله، قال فكان سَمْرَةَ يدخل إلى نخلة فيتأذى به الأنصاري، فطلب الأنصاري من سَمْرَةَ أن يبيعه نخلة فأبى سَمْرَةَ ذلك، فطلب إليه الأنصاري أن يناقله فأبى سَمْرَةَ، فأتى الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو سَمْرَةَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسَمْرَةَ أن يبيعه نخلة! فأبى سَمْرَةَ، فطلب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يناقله نخلة فأبى سَمْرَةَ، فطلب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهبه (أي النخلة) للأنصاري ولك كذا وكذا في الجنة، فأبى سَمْرَةَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت مضارٌّ» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصاري: «اذهب فاقلع نخله» رواه أبو داود.

التعسف في استخدام الحق إضرار بالآخرين وخرق للسفينه ... الأناية وحب الذات وعدم النظر في مصالح الآخرين ... خرق للسفينه، عدم إنكار المنكر وعدم الأخذ على أيدي المبدعين الضالين المنحرفين خرق للسفينه ... وخرق السفينة ضياع وهلكة للأمة جميعها.

1. عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما من رجل يُنْعِشُ بلسانه حقاً فَعَمِلَ به بعده إلا جرى عليه أجره إلى يوم القيامة ثم وفاه ثوابه يوم القيامة» مسند الإمام أحمد.

2. عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أحب الجهاد إلى الله عز وجل، كلمة حق تقال لإمام جائر» حم، طب.

3. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «الجهاد على أربع شعب، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف

شَدَّ ظَهْرَ الْمُؤْمِنِ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ «مَنْ إِظْهَرَ الْحَقَّ وَنَصَرَهُ الْحَقَّ وَإِنْكَارَ الْمُنْكَرِ فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، أَي قَامَ بِوَاجِبِهِ تَجَاهَ دِينِهِ وَتَجَاهَ إِخْوَتِهِ الْمُسْلِمِينَ» وَمَنْ سَنَّاَ الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ اللَّهُ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ «سَنَّاَ الْفَاسِقِينَ: (أَي فَضَحَ عِيُوبَهُمْ وَادْعَاءَاتِهِمْ الْكَاذِبَةَ وَغِيْهِمْ وَمُنْكَرِهِمْ) مِنْ كِتَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا رَقْمَ (18).

4. وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَا يَغْيِرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ» مَسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

5. وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فَلْيَغْيِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ» حَم - م - ت - د - ن - هـ.

6. إِنْ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النِّقْصَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِّ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْيَلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، كَلَّا وَاللَّهِ لِتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلْتَنْهَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلْتَأْخُذَنَّ عَلَى أَيْدِي الظَّالِمِ وَلْتَأْطُرَنَّ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا أَوْ لِيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَلْعَنُكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ (دَعْنُ ابْنِ مَسْعُودٍ).

7. وَالَّذِي نَفْسَ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلْتَنْهَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ. (حَم ت عَنْ حَذِيفَةَ).

8. إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَّةٌ تَعْرِفُونَ وَتُنْكَرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَهُوَ بَرِيءٌ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مِنْ رَضِيَ وَتَابَعَ. (حَم ت عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ).

9. بَلِ اتَّخَذُوا بِالْمَعْرُوفِ وَمَنْعَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شِحَاءَ مَطَاعَاً وَهُوَ مَتَّبِعًا وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ

العوام، وإن من ورائكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قالوا يا رسول الله: أجر خمسين منهم؟ قال: لا بل أجر خمسين منكم. (د ت هـ ح عن أبي ثعلبة الخشني).

10. ما من نبي بعثه الله في أمة من قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف منهم من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يأمرن، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. (حم م عن ابن مسعود).

11. مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقال الذين في أعلاها: لا ندعهم يصعدون فيؤذونا، فقالوا: لو أنا خرقتنا في نصيبنا خرقتاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً. (حم خ ت عن النعمان بن بشير).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مداهن في حدود الله والراكب حدود الله عز وجل والأمر بها والناهي عنها كمثل قوم استهموا على سفينة من سفن البحر، فأصاب بعضهم مؤخر السفينة وأبعدها عن المرفق وكانوا سفهاء، فكانوا إذا أتوا على رحال القوم آذوهم، فقالوا: نحن أقرب أهل السفينة من المرفق وأبعدها من الماء، وبيننا وبين المرفق أن نخرق السفينة ثم نسده إذا استقيننا منه، فقال ضرباؤه من السفهاء: فادخل فدخل فأهوى إلى فاس يضرب به عرض السفينة، فأشرف عليه رجل منهم ونشده ما تصنع؟! قال: نحن أقربكم إلى المرفق وأبعدكم منه، أخرج دف هذه السفينة، فإذا استقيننا سدودنا، قال: لا تفعل، فإنك إذن تهلك ونهلك» (طب).

وفي النهاية أقول ...

1. يجب أن لا نتعسف باستعمال الحق والقوة والسلطة والمنصب.

2. يجب أن نعلم أن في الحقوق الشخصية حقوقاً عامة يشترك فيها الآخرون.
3. يجب أن نعلم أن لكل فعل رد فعل يجب الانتباه إليه وتحليله.
4. يجب أن نعلم بأن الله يسمع ويرى ويشب ويعاقب.
5. يجب أن نعلم بقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه.
6. يجب أن نعلم ﴿فَأَحْكُرْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: 38 / 22].
7. يجب أن نعلم (ادعوا الناس وبشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) عن أبي موسى الأشعري، مسلم.
8. التوسط في الأمور وعدم المغالاة وعدم التنطع وعدم التشدد، قال ﷺ «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» البخاري، «ما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن القصد في الفقر، ما أحسن القصد في العبادة» رواه البزار عن حذيفة ابن اليمان.
- «يا أيها الناس عليكم بالقصد، عليكم بالقصد، عليكم بالقصد، فإن الله تعالى لن يمل حتى تملوا» رواه ابن ماجه، وابن حبان عن جابر بن عبد الله.
9. يجب أن نعلم بأن الرفق في كل الأمور مطلوب، قال ﷺ: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه» رواه مسلم، «يا عائشة عليك بتقوى الله والرفق، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه وما نزع من شيء قط إلا شانه» مسند الإمام أحمد، أبو داود.
10. يجب أن نعلم بأن الآثار السلبية لفعل المنكر ولفعل الحرام ولفعل الخبائث ولفعل المنهيات الشرعية والمخالفات الشرعية لا تقع على صاحبها ومرتكبها فقط، وإنما تعود عليهم جميعهم ... العقوبة والمصيبة لها آثار تعم كل من حول صاحب المصيبة وهذا معلوم بالمشاهدة ولا يريد دليلاً عليه ... ولذلك فرضية تغيير المنكر أمر فرضي لا بد منه ويجب عليهم جميعهم القيام به لأنه

يمسهم جميعهم ويقع عليهم جميعاً وإلا فتُخرق السفينة... ولا عبرة بالأسباب والأعدار التي يتذرع بها مرتكب المخالفة مهما كانت هذه الأسباب والأعدار مادية، اضطرارية، كسبيّة...

11. يجب أن نعلم أن المداهن إما أن يكون:

1. جاهلاً لا علم له بعواقب الأمور.
2. أحمقاً لا يميز بين الحق والباطل.
3. معانداً حباً في الظهور.
4. خبيثاً يعلم العواقب ويريد الإساءة.
5. صاحب شهرة كدعاة حرية المرأة وحرية الرأي.
6. صاحب شبه يريد الإضلال بشبهته... وعلى أية حال المداهن مضر، مخرب، مضل في المجتمع فيجب الحذر منه والتحذير منه... قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُضِيئِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25 / 8].

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

